

أصل لفظ ALCOOL العربي وَمَا نَقُولُ مُقَابِلَهُ أَغُولٌ أَمْ كَحُولٌ ؟

د. عبد الكريم اليافي

⑤ نقرأ في مجلة المجمع العلمي العربي عدد كانون الثاني - شباط ، المجلد الثاني عشر عام ١٩٣٢ (ص ٢٠١ ، ٢٠٢) مقالا للمرحوم الطبيب محمد جميل الخاني يعرض فيه مصطلحات عربية تقابل بعض الألفاظ الأعجمية جاء بينها لفظ :

[Alcool - الغُول]

Alcool كلمة تستعمل بمعنى ما يستقطر من الخمر وتعبر عنه العامة بالاسبرتو ووجود الألف واللام في صدر كلمة Alcool يدل على أنها عربية الأصل لكنه قد تضاربت الآراء في أصلها فمن قائل كحل أو كحول ومن قائل كؤول أو كهول أو قلبي الى غير ذلك ، أما الكحل فليس من وجه شبه بينه وبين المائع المبحوث فيه اذ ان الأول جامد والثاني مائع والأول أسود والثاني بلا لون اللهم الا اذا قلت ان الأصل كُحيل (بضم ففتح) وهو النفط « زيت الكاز » فهو يشبه الاسبرتو في أمرين : السائلة وسرعة الاحتراق . وأما كؤول فأقرب لفظ عربي اليه الكؤولة ومعناها أن

لبحث هذه القضية نجري على النسق الآتي :

١ - نذكر بعض المناقشات التي دارت في هذا الموضوع قبلا ولا سيما على صفحات مجلة المجمع العربي بدمشق . نذكر أغلب نصوص تلك المناقشات لأنها تلقي أضواء هادية وتشف أيضاً عن نوع البحوث التي كانت تنشر قبل عشرات السنين .

٢ - نورد ما تذكره المراجع الأجنبية في هذا الصدد .

٣ - نعود الى كتب اللغة والعلم في اللغة العربية لعرض بعض الألفاظ المقترحة .

٤ - رأينا في اختيار المصطلح العربي .

٥ - خاتمة .

يشتري الرجل أو أن يبيع ديناً له على رجل بدين لذلك الرجل على آخر وهذا المعنى أيضاً لا علاقة له بمعنى Alcool ، وأما كهول فمعناه أن يصير الرجل كهلاً وهذا أيضاً بعيد عما نبحت فيه ، وكذلك لم أر مناسبة بين الاسبرتو وبين القكلي والحاصل اني لم أجد لفظاً أوفق للمطلوب من الغول (بفتح الغين) من غاله يفوله اذا ذهب بعقله أو بصحة بدنه ، ولا جرم أن الاسبرتو يذهب بعقل شاربه وبصحة بدنه وتسميته بالمصدر للمبالغة لأنه هو مادة الاسكار في كل شراب مسكر ، وقد جاء في القرآن الكريم « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » أي ليس في كأس الشراب التي يطاف بها على أهل الجنة خمار يفتال عقولهم ولا يصدرون عنها سكارى .

⑤ وورد في المجلة نفسها عدد كانون الثاني المجلد ٢٣ عام ١٩٤٨ (ص ٢٢٦) كلمة للأمر مصطفى الشهابي بعنوان ملاحظات على معجم الملاحظة الآتية :

وضعتُ أمام Alcool كحول . غول . وقلت في الشرح : لم يجز بعض اللغويين الكلمة الثانية . ومن المعروف ان من معاني الغول في اللغة الصداق والسكر وما زال به العقل . فقال الأب (١) : « الغول غلط » . وقدين الدكتور شوشه في مؤتمر المحقق (ويعني به مجمع مصر) سنة ١٩٤٤ ان الصواب هو الكحل ، وأن الغول خطأ ، وبرهن على ذلك بأدلة لا تقبل النقض البتة .

قلت لم أطلع على بيان الدكتور شوشه . ومن الثابت في معاجم أصول الكلم الفرنسية ان الاسم الفرنسي Alcool مستعار من كحل العربية بمعنى الاثمد المشهور ، وان الفرنسيين أطلقوه قديماً على الاثمد وأضرابه مما تكحل أو تداوى به العيون . ثم حرفوا معناه في أوائل القرن السادس عشر ، وجعلوا له معنى جديداً ، أي أطلقوه على السائل المعروف المسمى سبيرتو بعامية معظم البلاد العربية . أما الاثمد فسموه Kohl وهي كحل العربية . لكننا نحن العرب لم نطلق الكحل في القديم ولا الحديث على هذا السائل أي السبيرتو . ولست أرى لزوماً لتضمن كلمة كحل هذا المعنى الجديد . وأرجح ترجمة Alcool بالكحول أو الغول وكلاهما سري على الألسنة ، وشاع في الجرائد والكتب العلمية . ولو عدنا الى أصل الكلمة الفرنسية وأطلقنا كلمة كحل على السبيرتو لحصل التباس شنيع فشتان ما بين الكحل الذي تسود أو تداوى به العيون وبين السبيرتو .

⑥ وقد سئل الشيخ عبد القادر المغربي عن كلمة الكحول بمعنى السبيرتو كيف تولدت في اللغة العربية وما أصل اللفظ أكحول أم غول فأجاب بمقال نشره في الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين عام ١٩٥٣ (ص ٦٤٧ - ٦٥١) . ويبدو أنه كان مطلعاً على رأي الطبيب محمد جميل الغاني فاستهل بحثه بالحديث عن النفط لينتقل بعدئذ الى لفظ الكحل الذي يحسب أن الكلمة الأجنبية قد اشتقت منه . ونحن نجز لأنفسنا أن نورد جل ما ذكره المغربي لزيادة ايضاح الموضوع . ولكن الأستاذ المغربي لم يذكر كتاباً كيميائياً عربياً ورد فيه ما يؤيد رأيه . ولهذا نعتقد أن أكثر كلامه من الظن والحسبان . فهو يقول بعد كلامه على النفط :

وكل هذا لا يهمننا وانما يهمننا أن نعرف كيف اهتدى العرب الى وضع كلمة (الكُحيل) للدلالة على المادة الكيماوية التي تسمى بالافرنجية (سبوتو) - أولئك العرب الذين كانوا يراقبون الأشياء التي تقع تحت حواسهم بيقظة وانتباه ثم يميزون بين خصائصها ويضعون لكل شيء ذي صفة خاصة به اسماً يناسب تلك الخاصة . ومهما كثرت الأشياء وتعددت الخواص فانهم واجدون لها من لغتهم الخصبة الطبيعة كلمات للدلالة عليها .

وهكذا هم ازاء (النفط) مذ وجدوا بعضه سائل أبيض وهو أحسن أنواعه وبعضه سائل أسود (٢) بسبب امتزاجه بشوائب زفتية وقد تتراكم هذه الشوائب وتتكثف فتخرج النفط عن رفته وسيلانه فيصبح غليظاً خائراً يسيل بصعوبة أو لا يسيل قط فيسمونه حينئذ زفتاً أو قاراً أو قيراً .

وكما كان العرب يستعملون القطران في شفاء جرب ابلهم استعملوا هذا النفط السائل أيضاً . فكان أحدهم يتناول قليلاً منه (أي من النفط) ثم يصبه بلباقة على نُقْبة بعيره (يعني على بثرة الجرب التي ظهرت أول أول في جلده) كما يصب الكحل الكحل في العين الرمداء . ولا يلزم أن يكون الكحل مسحوقاً جامداً بل يكون سائلاً (٣) أيضاً فقد قال صاحب « المحكم » : « الكحل : كل ما وضع في العين يُشْتَفَى به » .

فلما استعمل العرب (النفط) علاجاً للنقَب أو لبثور النُقَب التي تبدو كالعيون في جلود ابلهم رأوا في النفط كحلاً نافعاً لجرب الابل ككحل العيون فلم يرضوا أن يحافظوا على اسمه القديم وهو النفط بل وضعوا له اسماً جديداً باعتباره شبيهاً بالكحل فقالوا (كُحِيل) وأدخلوا عليه لام التعريف حتى كادوا لا يستعملونه من دونها . فقالوا (الكُحِيل) قال القاموس وشارحه : (والكُحِيل كزُبِير النفط يطلى به الابل للجرب . وهو مبني على التصغير لا يستعمل الا هكذا) ا هـ .

وقال صاحب لسان العرب ما نصه : (والكُحِيل مبنيٌ على التصغير هو الذي تطلى به الابل للجرب لا يستعمل الا مصغراً . قال الشاعر : (مثل الكُحِيل أو عقيد الرُّب) ا هـ . اذن صار للنفط اسم جديد في اللغة العربية وهو (الكُحِيل) وقد جاءت هذه التسمية من كونه أسود بشوائبه الزفتية ككحل الاثمد الذي اشتهر بسواده أو من كونه يُعالج به لبثور الجرب فيكون كحلاً لها ككحل العين السائل ونسميه القطرة .

ثم على تمادي الأيام أصبح (الكحيل) من أسماء النفط وتُنوسي فيه سبب الوضع والتسمية . وقد تخطى هذا الاستعمال الصدر الأول حتى بلغ زمن العباسيين الذي اشتغل فيه علماء العرب بفنون الطب والفلك والكيمياء والتجارب فيها . وبلغوا منها مبلغ الاكتشاف : من ذلك اكتشافهم مادة كيماوية سائلة بيضاء اللون تشتعل بسرعة ولما رأوها تشبه النفط الأبيض السائل أطلقوا عليها اسماً من أسمائه المعروفة وهو (الكُحِيل) وصاروا في كتبهم الكيماوية يستعملون كلمتين كلمة (النفط) يريدون بها الزيت المعدني المعروف وكلمة (الكُحِيل) يريدون بها مادتهم المكتشفة الجديدة .

ووصلت كتب العرب في الكيمياء الى علماء الافرنج فعرفوا لهم فضلهم في اكتشاف هذه المادة العجيبة النفع وقد سموها هم (سبىرتو) لكنهم مع هذا رأوا من وفاء الذمم أن يحافظوا على اسمها العلمي العربي الذي اصطلح عليه كيمايو العرب وهو (الكُحيل) لكنهم (أي كيمايو الافرنج) حرفوه الى ما يناسب رطانتهم فقالوا (الكُحول) أو (الكُؤول) .

وخلاصة القول ان علماء الكيمياء العرب سموا روح (السبىرتو) باسم من أسماء النفط وهو (الكحيل) كما مر عن القاموس . وذلك مذ رأوا الشبه تاماً بينهما (أي بين مادتهما المكتشفة وبين الكُحيل الذي هو النفط) من جهة الميوعة وبياض اللون الضارب الى زرقة أو صفرة وقابلية الاشتعال .

أما الذهاب الى ان « الكحول » في كتب الافرنج محرفة عن « الغَوَل » الواردة في قوله تعالى في صفة خمرة الآخرة « لا فيها غول » فهذا يستدعي أن يكون كيمايو العرب استعملوا في كتبهم الكيمائية كلمة « الغول » القرآنية ثم أخذها الافرنج عنهم وحرفوها الى (الكحول) مع أن أطباء العرب لم ينقل أنهم استعملوا كلمة « الغول » القرآنية لمادتهم المكتشفة .

ان الافرنج لا يوجد في لغاتهم حرف الحاء فضلاً عن أن يخترعوها ويدسوها في كلمة « الغول » التي حرفوها الى (الكحول) أو لاثم الى (الكؤول) ثانياً ولا يخفى أن المراد بالغَوَل في القرآن الاغتيال مصدراً لا اسماً أي أن خمرة الجنة لا تقتال العقول .

المغربي

⊙ واطلع الكيمائي الصيدلي الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي كالمشيخ المغربي فنتشر في مجلة المجمع المجلد ٢٩ عام ١٩٥٤ في باب آراء وأنباء (ص ٤٧٤ - ٤٧٦) بحثاً عقب فيه على رأي الشيخ بعنوان :

(غَوَل) أم (كُحُول) ؟

كان الأستاذ المغربي - أمد الله في حياته - كتب في هذه المجلة (الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين ، في الصفحة ٦٤٧ ، من السنة ١٩٥٣) كلمة حول (الكحول) و (الغول) وأتى بشرح لكلمة (كُحيل) وامكان اطلاقها على ما يقصده العامة من كلمة (اسبىرتو) ذلك المائع اللاذع المستقطر من كل مادة سكرية خمور (fermentescible) عانت اختماراً غولياً بفعل خميرة يسميها الكيمائيون (غَوَلاز alcoholase) . لكن هذا الشرح زاد في الأمر تعقيداً وأضاف الى مرادفات هذه المادة كلمة جديدة نحن في غنى عنها وفي أيدينا كلمة (غول) الملائمة كل الملائمة للغرض المستعملة له سواء أكانت حديثة الاستعمال لما يوافق (alcohol) الافرنجية أم كانت قديمته .

أما ان أصل كلمة (alcohol) الافرنجية عربي من (al,cohol) كما استنبطه الغربيون (فهذا لا ريب فيه باعتراف الفرنجة أنفسهم بذلك . وانما استعاروا نعمة خاصة

في ال (كحل) الصلب ، وهو ذرور غاية في النعومة ، (يستعمل للتكحيل) ، للطفافة وبخورية (volatilité) في (الفول) المائع ، وهو قطارة غاية في اللطفافة والبخر ، من باب المجاز لا من باب الحقيقة والانطباق على الواقع ، لأنهم يقولون : (al : ال ، بالعربية ، و cohol : شيء طيار chose subtile) . و (subtil) من اللاتينية subtilis : غاية في النعومة والدقة والطفافة الخ . ومنها في الافرنسية مصدر subtiliser : يختر ، صعد ، حوّل الى بخار أو غاز . فال (subtil) على هذا بخور ، صعود ، وزان فَعُول الدال على القابلية) .

وعندي أن العرب وهم أول من استقطر (الفول) من النبيذ أو الخمر ، لم يسموه (كحول) (٤) ولا كحيل ، (على التصغير) انما أسموه في البدء (روح النبيذ أو الخمر) من الاستقطار أو البخر والتصعد فكانما هو روح يصعد من صميم النبيذ . وهذا ما حمل الافرنج أن يشرحوا (cohol) بكلمة (subtil) أي البخور ، الطيار الصعود الخ ، وينقلوا عن العرب جملة بالمعنى نفسه (esprit-de-vin) وباللاتينية (spirito) ومعناها الروح .

بعد هذا لا مجال لوجه الشبه بين (الكحل) الصلب أو (الكحيل) المائع الغليظ الكثيف حتى يطلق العرب - وهم مشهورون بسلامة الذوق ودقة التشبيه - على (روح النبيذ) كلمة (كحل) أو (كحيل) .

ولو كان (alcohol) منتقلا عن (الكحيل ، بضم ففتح) لوجب أن تكون في لسانهم (alcohyl) لا (alcohol) التي ليس من شك في أنها عن (كحل) .

والأتراك يلفظون الكلمة الافرنجية (alcool) : (كُول) بالهمزة وبضمة ثقيلة مبسطة كما في لفظ الكلمة (حُول) اذ لا يستطيعون لفظ الحاء من مخرجها الحقيقي من الحلق . ولولا اللبس بكلمة (الكهول) - جمع كهل - للفظوها (كهول) كما هي عادتهم في لفظ الحاء العربية هاء . ومنهم انتقلت الى من أخذ عنهم في مدارسهم من العرب (من سوريين ، وعراقيين ، ومصريين) في العهد العثماني السابق . والزملاء المصريون لا يزالون يستعملون كلمة (كحول) ويحسبونها (مفرد) لا (جمع) (٥) فيقولون ويكتبون في محادثاتهم ونشراتهم أو مجلاتهم : (كحول صاف ، كحول أبيض) وقد سها عن بالهم ان (كحول) ان صح تسمية (السبريتو) بها فهي جمع (كحل) وان (كل جمع مؤنث) . فالخطأ مضاعف : (١) استعمالهم الكحل لما يوافق (الفول) ، (٢) ظنهم (كحول) (٦) مفردا لا جمعا ووصفهم اياها بصفات التذكير لا التأنيث .

أما قول الأستاذ المغربي الفاضل ان (الفول) هو (الاغتيال) فهو صحيح . وفي القاموس : (الفول ، الصداق والسكر) ، ومن أطلق هذه الكلمة على المائع المستقطر من الخمر قد أصاب لتسميته الشيء بما يؤول اليه ، كما في (اني أراني أعصر خمرا ، الآية ، أي العنب الذي سيحول الى خمر ، لأن الخمر لا تعصر . فخمرة الجنة (لا غول فيها) (٧) . فالصداق والسكر والعريضة و (الاغتيال) وكل ما يبدو من شارب الخمر وغيرها من

الأشربة الروحية ، من شذوذ فعلاً وخلقاً ما هو الا مما تحتوي عليه الخمر أم الخبائث ، من (السبريتو) المادة التي لا ريب في تأثيرها في العقل والجملة العصبية جمعاء .

فهل من مانع يمنع من اطلاق (الفول) على (السبريتو) المادة التي تنجم عنها هذه العوارض المرضية والجنونية فهي السبب في كل هذه الحالات الشاذة التي تبدو على السكران جسماً وروحاً ، وهي السبب في تحريم شربها في الاسلام . فالخمر لولا (الفول) أو (السبريتو) فيها لما أحدثت في شاربها أكثر مما يحدثه الماء الزلال من لذة الارتواء ونقع الغلة .

ومثل الفول كلمة (الفول ، بالضم) فهي : (الهلكة والداهية) . فكأن شارب الخمر (أو السبريتو) يشرب الهلاك ، ويتجرع الموت عاجلاً أو آجلاً .

هذا ما رأيت أن أبدية على صفحات مجلتنا استجلاء للحقيقة ، وأنا شاكر لواضع كلمة (الفول) لما يقابل (السبريتو) كائناً من كان - فهو موفق في اطلاقه هذا - وماضٍ في استعمالها منذ اطلاعي عليها من أمد بعيد ، وعامل على اشاعتها بين طلابي والناطقين بالضاد ، تاركاً الكحل ، للعين - والكحيل ، للنقط والقطران الذي يطلى به الابل .

الكواكبي

- ٢ -

⊙ نجد في الموسوعة العالمية Encyclopedia Universalis ما ترجمته :
« لفظ alcool جاء من العربية al khoul أو al kohl ومعناه في الأصل ضرور ناعم جداً مادة Stibine التي هي كبريت الانتيموان (الاثمد) . وقد ارتبط بهذا اللفظ معنى الدقة واللطافة حتى ان الكيميائيين القدماء كانوا يطلقونه على أصناف مسحوقة دقيقة لا تكاد تلمس تنشأ من التصعيد كما يطلقونه على العناصر الطيارة الناجمة من التقطير . وقد سمي باراسيلس المادة الحاصلة من تقطير الخمر alcool vini . ومنذ غرة القرن التاسع عشر غدا هذا المعنى للفظ alcool يستعمل دون أن يوصف بأنه آت من الخمر ويكاد يكون محصوراً به . (أسمح لنفسني أن أستعمل لفظ الفول الآن في سياق الترجمة قبل أن أنتهي الى الحكم) . ان غول الخمر الذي اسمه العلمي ايتانول أفضى الى عدد لا بأس به من التحولات الكيميائية . وهي تحولات تشبه شبيهاً قوياً تحولات مركبين آخرين هما غول الخشب (ويدعى اليوم ميتانول وكريينول) والغول الستيلي alcool cétylique المستخرج من بياض الحوت (وهو يوجد في الجيوب الجبهية لسמكة العنبر Cachalot مذاباً في مادة زيتية هي الزيتين أو الأولئين oleine)^(٨) . وبالتدرج غدا لفظ الفول اسم جنس يدل على جميع المركبات المشتقة من الفحوم^(٩) الهيدروجينية بتبديل جذر المماء أو الهيدروكسيل بذرة هيدروجين من فحم هيدروجيني مشبع أي هو يطلق على المركبات التي يجمعها الدستور ROH على أن يكون الجذر R منتهياً بفحم مشبع . وهذا التحديد مهم . وذلك أن المركبات من نوع $\text{CH}_2 = \text{CHOH}$ ونوع $\text{C}_6\text{H}_5\text{OH}$ ليست أغوالاً بل هما من فصيلة اينول enol وفينول Phénol . ان الزمرة OH

المرتبطة بفحم مشبع هي الزمرة الوظيفية للأغوال . هذا ، ومن البين أن هذه الزمرة قد تحملها هياكل غير مشبعة مثل $\text{CH}_2=\text{CH}-\text{CH}_2\text{OH}$ وكذلك $\text{C}_6\text{H}_5-\text{CH}_2\text{OH}$ اللذين هما غولان .

وقد تحمل تلك الهياكل وظائف كيميائية أخرى . فإذا كانت هذه الوظائف غولية كان الجسم غولا متعدد الهيدروكسيل أي ثنائي الوظيفة الغولية أو ثلاثيتها أو أكثر من ذلك . وإذا تفاوتت الوظائف أفضت إلى مركبات ذات وظائف مختلطة كوظائف الألدهيد والسيتون والحموض والأمين وغيرها مع الوظيفة الغولية .

هذا وإذا كنا أطلعنا الترجمة فلنجد نبرزتدرج اللفظ الأجنبي من الكحل العربي إلى روح الخمر ثم إلى الوظيفة أي الخاصة الغولية عامة . فلا يدل الغول على مادة واحدة معينة بل يدل على مواد جد مختلفة تجمعها وظيفة كيميائية واحدة . هذا في الكيمياء . ولكن شاع إطلاق لفظ الغول على الايتانول الصافي أو المشوب المدعو بالسبرتو باللغة العامية وهو في الأصل ترجمة أجنبية للفظ الروح العربي .

هذا والكيميائي بارسلوس الذي ذكرته الموسوعة أو بارسلوس Paracelsus كيميائي وطبيب سويسري عاش في القرن السادس عشر الميلادي ومات ١٥٤١ ولقبه هذا اللاتيني مستعار واسمه الحقيقي Theophrastus Bombastus von Hohenheim وقد شاع عند الغربيين قديماً لتحال ألقاب لاتينية . واشتهر هذا المؤلف بعداوته للعرب وانتحاله كتبهم . والايثانول تركيبه $\text{C}_2\text{H}_5\text{OH}$ والميتانول CH_3OH والغول السيتيلي $\text{C}_{16}\text{H}_{33}\text{OH}$. والتحويلات المشار إليها في الموسوعة تحول الغول إلى أجسام أخرى كالحمض والألدهيد والخلون وغيرها .

جاء في معجم أكسفورد الشهير The Oxford English Dictionary ما خلاصته : « alcohol, alcholah, alcholah, alcholah, alcholah » وقبلا من العربية الكحل al-kohl أي Collyrium (أي الكحل أو الشيف) وهو ضروري يستعمل لصبغ الجفون . ظهر اللفظ في الانكليزية كما في أغلب اللغات الحديثة خلال القرن السادس عشر . وفي الفرنسية alcohol ثم صار اللفظ فيها alcool .

آ - يدل اللفظ في الأصل على ضروري معدني يستعمل في الشرق لصبغ الجفون وغيرها وهو مسحوق الأنتموان أو ركازة المسمى stibnite (ويقال أيضاً stibine) وهو ثالث كبريت الأنتموان (S_2Sb_2) (١٠) كان يعرفه اليونان لهذه الغاية أو هو أحيانا مسحوق الغالين galena أو ركاز الرصاص (هو كبريت الرصاص SPb) . ثم ينقل هذا المعجم الانكليزي عن مؤلفين كتبوا في عام ١٦١٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥٧ أن كلمة alcohol تدل عندهم على ضروري الاثمد كما يذكر مؤلفا كتب عام ١٨١٥ ان نساء البربر يصبغن شعورهن وأهداب جفونهن بما يدعونه al Kahol وهو مسحوق ركاز الرصاص ، وأن ما كان يستعمل للزينة خاصة هو الاثمد يدعونه al Kohol أو Isphahany اصفهاني (وسرى القارئ لم دعي الاثمد بالاصفهاني).

ب - وعلى هذا وبالتوسع في الكيمياء المبكرة غدا اللفظ يدل على ضرور ناعم دقيق يحصل بالسحق أو بالتصعيد حتى أنه أطلق على الحديد المرجع reduced iron فدعي هذا alcohol martis وعلى زهر الكبريت فدعي هذا alcohol of sulphur .

ج - وبالتدرج انتقل اللفظ للدلالة على ماهية أو خلاصة أو روح سيال حاصل بالتقطير وبالتكرير rectification كروح الخمر فدعي روح الخمر هذا alcohol of wine واستعمل جونسون في لتسيقون الكيمياء عام ١٦٥٧ alcohol vini للعنصر السائل الدقيق المفصول عن الخمر .

وشاع إطلاق alcohol اختصاراً على روح الخمر ثم على الشراب الذي يشتمل عليه فإذا قصدت نقاوته قيل الغول المطلق أو اللامائي .

هـ - ثم ان معجم اكسفورد يذكر في النهاية أن اللفظ يطلق في الكيمياء العضوية على صنف واسع من المركبات التي هي كروح الخمر مؤلفة من الفحم والهيدروجين والاكسجين بعضها سائل وبعضها صلب كما سلف أن عرضنا الأمر آنفاً ولكن بايجاز شديد .

- ٣ -

في تاج العروس « غاله الشيء يفوله غولا أهلكه كاغتاله وغاله أخذه من حيث لم يدر . وقال ابن الأعرابي غال الشيء زيدا إذا ذهب به يفوله وقال الليث : غاله الموت أي أهلكه . والغول الصداع وقيل السكر ، وبه فسر قوله تعالى : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » ، أي ليس فيها غائلة الصداع لأنه تعالى قال في موضع آخر : « لا يصدعون عنها ولا ينزفون » . وقال أبو عبيدة : الغول أن تغتال عقولهم وأنشد :

وما زالت الخمر تغتالنا وتذهب بالأول الأول

وقال محمد بن سلام : لا تقول عقولهم ولا يسكرون . وقال أبو الهيثم : غالت الخمر فلاناً إذا شربها فذهبت بعقله أو بصحة بدنه . وقال الراغب : قال الله تعالى في صفة خمر الجفة لا فيها غول نفيّاً لكل ما نبّه عليه بقوله : واثمهما أكبر من نفعهما ، وبقوله عز وجل : « رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » .

وفي التاج أيضاً « والكحل الاثمد وهو الذي يؤتى به من جبال أصفهان كالكحل ككتاب . وفي المحكم الكحل كل ما وضع في العين يشفى به . وكحل السودان هي البشمة وكحل فارس الأنزروت وهو صمغ يؤتى به من فارس فيه مرارة منه أبيض وأحمر وكحل خولان الحُضُض (١١) . . . وكحل العين كمنع ونصر كحلا فهي مكحولة وكحيل وهذه عن الفراء وكحيلة وكحل كنجبل وكحلة من أعين كحلى وكحائل عن اللحياني وكحلها تكعيلاً أنشد ثعلب :

فما لك بالسلطان أن تحمل القذى جفون عيون بالقذى لم تكحل

وفي حديث أهل الجنة جرد مرد كحلى جمع كحيل كقتيل وقتلى • والكحل محركه
أن يعلو منابت الأشفار سواد مثل الكحل خلقة من غير كحل أو هو أن تسود مواضع
الكحل وقد كحل كفرح فهو أكحل وهي كحلأ • وقيل الكحلأ الشديدة السواد سواد العين
أو التي تراها كأنها مكحولة وإن لم تكحل • قال : كأن بها كحلأ وإن لم تكحل •
وقال ابن النبيه :

كحلأ نجلأ لها ناظر منزّه عن لوثة المروء
وقال الأبوصيري :

قل للذين تكلفوا زي التقى وتغيّروا للدرس ألف مجلد
لا تحسبوا كحل الجفون بزينة إن المها لم تكتحل بالاثمد »

هذا وقول التاج في الكحل : يؤتى به من جبال اصفهان يفسر ما جاء في معجم
اكسفورد من تسمية الكحل بالاصفهاني •

وجاء فيه « والمكحل والمكحال كمنبر ومفتاح المملول الذي يكتحل به • كذا في
الصحاح • وفي المحكم الآلة التي يكتحل بها • وفي التهذيب الميل يكحل به العين من المكحلة •
قال الشاعر :

إذا الفتى لم يركب الأهوال وخالف الأعمام والأخوال
فأعطه المرأة والمكحالا واسع له وعده عيالا

وورد فيه : « والكحيل كزبير النفط يطلّى به الابل للجرب • وهو مبني على
التصغير • لا يستعمل الا هكذا • نقله الجوهري عن الأصمعي أو هو القطران يطلّى به
الابل • ورده الأصمعي فقال : القطران انما يطلّى به للدبّر والقردان (١٢) وأشبه ذلك ،
وانما هو النفط • وأنشد الصاغاني لعنترة بن شداد :

وكان ربّاً أو كحيلاً مُعقداً حشّ الوقود به جوانب قنمقم
وقال غيره : مثل الكحيل أو عقيد الربّ

قال علي بن حمزة : هذا من مشهور غلط الأصمعي ، لأن النفط لا يطلّى به الجرب
وانما يطلّى بالقطران • وليس القطران مخصوصاً بالدبّر والقردان كما ذكر ويفسد
ذلك قول القطران الشاعر :

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء
وكذلك قول القنلاخ المنقري :

« اني أنا القطران أشفي ذا الجرب »

وفي الأساس : « ومن المجاز هو أسود كالكحيل المعقد وهو القطران شبه بالكحل في سواده » .

وفي رأينا أن الكحيل هو أقرب ما يكون من المازوت كما ذكر صاحب متن اللغة حتى أنه يمكن إطلاقه عليه إذا أريدت ترجمته بدلاً من تعريبه أي من ادخاله اللغة العربية واخضاعه لقواعدها في أحد معاني لفظ التعريب .

ولكن لفظ المازوت نفسه من أصل عربي دخل اللغة الروسية ومنها دخل بعض اللغات الحديثة كالفرنسية (انظر معجم Lexis الفرنسي ونظن أن أصله العربي أت من الزيت وربما كان من اسم المفعول أي المزيوت نسبة الى التراب المزيوت أو المزيوت الذي كانوا يصادفونه في اذربيجان) .

وقد استطرنا هذا الاستطراد الواسع لفائدته اللغوية ولبيان أنا لا نجد في كتب اللغة ومعجماتها من فائدة في تفسير ما نحن بصده ، لأن الغربيين نقلوا أكثر المعلومات عن كتب العلم العربية وأن كانت لم تخل ترجماتهم الى اللاتينية حتى كتب النحو والأمثال والأدب والدين والتصوف زيادة على الفلسفة والعلم .

لذلك من المناسب أن نبث في كتب الكيمياء والصيدلة الى جانب المعجمات اللغوية نجد مثلاً في كتاب « منهاج الدكان ودستور الأعيان » الباب الثاني عشر في الأكحال . يذكر المؤلف فيه أصنافاً متعددة منها . وفي آخر وصف كل كحل مركب من العقاقير والعناصر المعدنية والنباتية ما نصه انه « يدق الجميع وينخل ويخلط ويعاد الى السحق الى أن يعود في حد الغبار ويكتحل به » أو « يدق الجميع ناعماً ويتخذ ذروراً » ويبلغ عدد الأكحال في منهاج الدكان نحو ثمانية وأربعين كحلاً . هذا عدا الشيفات وهي الأدوية التي تعالج بها العيون . وقسم منها يسحق وان لم يكن يمثل تلك النعمة .

من كل ما سلف نستخلص أن لفظ الكحل تدرج من الدلالة على مادة هي الاثمد تسحق لتكحل بها العيون لتتشبه بالعيون الدعج العربية الكحيلة خلقة وهي من أبدع ما خلق الله . وقد حاول أن يوحى بسحرها أبو حرزة حين قال :

ان العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

وعلي بن الجهم الذي فتنه العيون البغداديات فأنشد :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما حاول آخرون أن يشبهوها بعيون البقر الوحشية وعيون الظباء وشتان ما بينها وبينها .

ثم تدرج لفظ الكحل بحسب تنوع تركيبه للدلالة على كل ذرور يجمل العين ويكحلها .

ولما نقل الغربيون فيما نقلوه هذا اللفظ نقلوا تدرجه معه فأصبح يطلق على كل ذرور دقيق ناعم جداً ثم انتقل الى ما هو سائل صاف مستخلص كالروح .

وكذلك نقلوا فيما نقلوه لفظ الروح وتطوره . ومن المعلوم أن للروح في العربية معاني متعددة لغوية ودينية وفلسفية وطبية وكيمائية ويهمننا هنا معنى الروح الكيماوي فقد قسم العرب المعدنية الى أرواح وأجساد وسموا أفراد كل منها وحسروا الأرواح أول الأمر في النوشادر والزرنيخ والكبريت والذئبق . ثم تدرجوا في دلالة الروح على ما لا يثبت على النار بالتقطير أو التصعيد . وانتقل اللفظ بمختلف دلالاته الى اللاتينية ، ومنها الى لغات أوربة الحديثة . ذكر دوزي في هذا السبيل أن الروح في الكيمياء تعني السيل اللطيف جداً وتعني الغاز وتعني جوهر الشيء .

هذا وينبغي أن ننبه على خطأ وقع فيه فريق من محققي التراث العربي وهو أنهم اذا وجدوا لفظاً مستعملاً في اللاتينية له شبيه في العربية وهموا فحسبوا أن اللفظ العربي منقول عن اللاتينية . ويكون الأمر على خلاف ذلك تماماً لأن اللاتينية لغتان قديمة ومتأخرة . والمتأخرة هي التي جرى نقل الكتب العربية على أنواعها اليها وتسربت فيها ألفاظ عربية كثيرة فأتسعت واستفاضت وغذت بمادتها اللغات الأوربية كلها . ومن هذه الألفاظ التي انتقلت الى اللاتينية بمعانيها المختلفة الروح والكحل .

وكذلك الأمر في اللغة اليونانية فان طائفة من الألفاظ العربية انتقلت أيضاً اليها خلال الحروب الطويلة السجال بين العرب والروم ولا سيما ابان الدولة الحمدانية وفارسها سيف الدولة .

وقد بلغت اللغة السريانية عصرها الذهبي في ظل الدولة العباسية لدى حركة الترجمة المشهورة وتبادلت اللغتان الشقيقتان طائفة من الألفاظ .

أما اللغة العبرية فانما بلغت نضجها في ظلال الحكم العربي بالأندلس حين أخذت عن العربية كثيراً من ألفاظها كما أخذت قواعد ونحوها وقسماً من بحور عروضها . فمن الضروري التمهّل في الأحكام والتبصر في البحث والرجوع الى تاريخ استعمال اللفظ

- ٤ -

واذن أصل لفظ Alcohol الكحل . ولكن لا يمكن استعمال اللفظ العربي أي الكحل للدلالة على هذه المادة أو هذا الصنف الكيماوي من المواد خوفاً من الاختلاط لبعده المراد في التعبير عن الأصل .

وقد شاع اطلاق الكحول على هذه المواد . بيد أننا لا نرى في هذا الاطلاق سبباً لاتخاذ اللفظ في العربية لأن الكحول صيغة للجمع . وجمع الكحل ورد على الغالب أكحالا وورد أحياناً كحولاً .

ثم اذا استعمل الغربيون لفظاً أصله عربي وتدرجوا في استعماله وتوسعوا في هذا الاستعمال اذ احتاجوا الى هذا اللفظ الجديد نظراً لضيق لغاتهم وضعف بناها وضحل

اشتقاقها من بعض الوجوه فلا يلزمنا نحن العرب أن نتبعهم في كل تحريفاتهم الا اذا اضطررنا الى ذلك وعزّ أن نجد مقابلاً في اللغة العربية .

أما كحيل فلا نوافق الشيخ المغربي في اعتباره أصلاً وقد سلف أن أشرنا الى نوع اجتهاده . وقد سبقه الدكتور محمد جميل الخاني الى استشفاف الأصل العربي مل هو كحل أو كحيل أو غول .

والعجيب في اتساع اللغة العربية وعمقها أنها وجدت لفظاً لهذه الطائفة من الأجسام الحاصلة من تبادل H وذرة أكسيدريل في الفحم الهيدروجيني المشبع قبل الكشف المتطو الطويل عن تلك الأجسام واستبانة تركيبها . ولا نكاد نلقي لغة غنية بالألفاظ والاشتقاق والتركيب والنحت ومواتية لمختلف الأغراض مثل اللغة العربية . وكأنها هي التي سبقت الى كشف مادة الغول بذكر لفظه قبل كشف بنيته وتركيبه ، وان كان العرب قد قطروا الأجسام وصعدوها وحصلوا على خلاصاتها وأرواحها وعرفوا منها روح الخمر . فالغول مصدر واسم . واستعماله في الدلالة الحديثة يغني عن استعمال لفظ له صيغة الجمع وليس بجمع . ثم ان الغول بصفته مصدراً متيهاً لمختلف الأغراض الاشتقاقية كغول وتغول واغتال واستغول واغوال ، وكذلك يصلح بوصفه اسماً للجمع فيقال أغوال واذا زيدت تاء التأنيث قيل غولة وجمعها غولات ، ويمكن اشتقاق لفظ الآلة منه فيقول مغوال ومغولة ومغول وهلم جرا لمختلف القياسات . وهذا كله يساعد على ترجمة الألفاظ الأجنبية المتعددة التي اشتقت من لفظ هجين عندهم هو Alcool . وما أكثر هجناهم وتعبيراتهم المضطربة لولا مناهجهم العلمية التي هم مشابرون عليها ولولا تعاونهم في سبيل التقدم والعلم .

وقد استعمل لفظ alcool عندهم مجازاً . عبّر الشاعر الانكليزي الشهير صمويل تيلر كلردج (١٧٧٢ - ١٨٣٤) عن الفرور والأثرة المفرطة بقوله alcohol of egotism (عام ١٨٣٠) .

واستعمال لفظ الغول ومشتقاته مجازاً وارد في اللغة العربية وهو أجمل من استعمال لفظ الكحول مجازاً .

قال أبو فراس الحمداني متغزلاً . ذكر هذه الأبيات الشيخ حسن البوريني في شرحه لديوان ابن الفارض - وليست في ديوان أبي فراس المجموع المحقق وهي من اللف الشعر :

سكرت من لحظه لا من مدايمته ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهنتي بل سوائفه ولا الشمول ازدهنتي بل شمائله
ألوى بقلبي أصداغ له لويت وغال قلبي بما تحوي غلائله

ونحن انما نكتفي بهذه العجالة . ولو شئنا التبسط لطال البحث دون أن نخرج عما أفضينا اليه من نتائج .

يبقى أن يتذاكر الكيماويون العرب أنفسهم ويتعاونوا في وضع مصطلحات عربية
تقابل المصطلحات العلمية الكثيرة الأجنبية المشتقة من لفظ الغول على أن يكون معهم
مختصون باللغة والتراث العربيين يستشارون لدى الحاجة • وقليل ما هم •

والغريب أن يتردد بعض أبناء العرب في استعمال لفظ الغول وهو أقرب للمراد من
الكحل • وقد رأينا أن الأجانب استعملوا قديماً للدلالة عليه لفظاً بعيداً جداً منه جرهم
إليه تخبطهم كما ظهر في املاء اللفظ عند نقله •

هذا وكثيراً ما دعيت الخمر بأم الخبائث • وهي في الحقيقة كذلك • غير أن للبحث
العلمي الذي قد يشبه التصعيد والتقطير كيمياء عجيبة تستطيع أن تحول ما في الخمر
من خبث وشر فتجعله طيباً وخيراً ظاهريين بما يفضي إليه البحث من نتائج علمية ولفوية
وأدبية •

٥ - خاتمة :

بعد أن كتبت هذه السطور لاح لي خيال الخليل بن أحمد الفراهيدي وهتف في سمعي
بهذه الأبيات :

يسائلني صديقي ما يقول	أغول أم كُحِيل أم كحول
فقلت له دع الأوهام طراً	وقل غول لشاربه يغول
وان الاشتقاق له ظهير	وكم فرع تؤيده الأصول
إذا عرضت لي الآراء شتى	جزمت بما أراه وما أقول
أدقق في المعاني والمباني	وأورد كل خاطرة تجول
أنا العربي عندي كل حكم	تؤيده الطبائع والعقول
فطرت على الصّحاح بغير كسر	ولم تجمع بأمثالي الميول

« عبد الكريم اليافي »

□ الحواشي :

- ١ - يعني الأب استئناس الكرمل .
- ٢ - هكذا جاء والصحيح وجدوا بعضه سائلا أبيض .. وبعضه سائلا أسود .
- ٣ - جاء في اللسان في مادة (البرم) انه بمعنى الكحل وانه قيل للمفضل ما البرم قال : انكحل المذاب ، ولا نعلم ماذا اراد المفضل بالكحل المذاب ؟ اراد به الكحل السائل الذي وضع في العين للاستشفاء ؟ او اراد به (الكحيل) مصغرا بمعنى النفط الذي يصب على بشور الجرب في الابل كما يأتي . (المغربي) .
- ٤ - الصحيح في النحو كحولا ولا كحلا ولا حاجة لاعتبار اللفظ واردا على الحكاية .
- ٥ - الصحيح مفردا لا جمعا .
- ٦ - الصحيح كحولا .
- ٧ - يريد الكواكب لا فيها غول كما ورد في القرآن الكريم .
- ٨ - ما بين الهلالين من اضافات كاتب السطور . والياء والنون المزيدين على اللفظ معناها آت من او موجود في .
- ٩ - نستعمل كلمة فحم مقابل Carbone خلافا لما ذهب اليه بعض الكيماويين الحديثين من استعمال اللفظ الاجنبي
- ١٠ - ما جاء بين الهلالين من كاتب السطور .
- ١١ - الأنزروت ويقال ايضا العنزروت صمغ شجرة بهذا الاسم من فصيلة القطنيات اسمها اللاتيني *astragalus sarcocolla* والحضض بضمين نبات من الفصيلة الباذنجانية واسمه اللاتيني *Lycium afrum* والفرنسي *Lyciet* *Jasmin d'Afrique* واللاتكليزي *Box-thorn* وانكحل عصارته والبشمة اسمها اللاتيني *Cassia Absus* ويقال لها العدسة المرة وايضا جهشك وجشميز وتششم وششم وهذه الفاظ فارسية انظر معجم اسماء النبات لأحمد عيسى ومعجم اسماء النبات الواردة في تاج العروس لمحمود مصطفى الدمياطي . ولكن أحمد عيسى يذكر اللفظ الأخير بالياء (يشم) وفي التاج تأكيد على انها بالياء في مستدرك مادة بشم .
- ١٢ - الدبر بفتحين جمع دبرة وهي قرحة الدابة او كالجراحة تحدث من الرجل ونحوه والقردان بكسر القاف جمع قراد بضمها وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه كالقمل للانسان .



□ في المصطلحات الغولية □

وبعد فقد تمثل لي ثانية خيال الخليل بن أحمد الفراهيدي حين ختمت مقالي فخاطبني قائلاً برفقه المعهود : ويحك ! لقد درست في شبابك الكيمياء دراسة واسعة وحزت شهادة الكيمياء العامة بباريس وقضيت عاماً في معهد الصنوبر الكيماوي التابع لجامعة بوردو وعاماً آخر في مخبر الكيمياء العضوية للسيدة رامار بالسربون ، وكم قطّرت وصعّدت وبادلت بين ذرات الأجسام الى جانب دراستك المتعددة ، ثم تقف بعد جلائك اللفظ المناسب وهو الغول تقابل به اللفظ الأجنبي alcool ولو اختلفت أصولهما وتطلب الى غيرك أن يضعوا المصطلحات المشتقة ! ألا تحفظ قول المتنبي :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

قم وأتمم ما بدأت واقترح ما يتيسر من المصطلحات في هذا المجال . فأخجلني العتب يصدر من امام عربي عظيم فقلت : يا أبا عبد الرحمن كيف أحجم عن رغبتك وأصدف عن دعوتك وأنت سيد الأدباء في علمك وزهدك وعبادتك وابائك وشجاعتك وذكائك ! ألم يقل فيك معاصرك سفيان الثوري الذي كان أمير المؤمنين في الحديث وسيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى : **من أحب أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر الى الخليل بن أحمد ؟!** الله درك ! ما تنفك حتى خيالا تدعو الى الجد والعمل والنشاط حسبي أن تهتف فأسمع وتدعو فأجيب ، على بعدما بيننا من الزمان واختلاف المكان . فلقد عشت في القرن الثاني الهجري ونحن في غرة القرن الخامس عشر ، وأنت في الدار الباقية ونحن في الدار القانية ، ولكن فناء هذه الدار هو الذي يضمن بالخيرات بقاء تلك الدار .

ثم عكفت على تلقف المصطلحات الأجنبية وتلقن مقابلاتها العربية وهاءنذا أعرضها على الرصفاء أساتذة الكيمياء العضوية . قطني الاقتراح ولهم الأخذ أو الاطراح .

alcoholase	غويلة (على وزن خميرة) ، غولاز
alcoholate, alkoxide	غولات
alcoholate	وهي مواد حاصلة من تبديل ذرة معدن بذرة هيدروجين في الوظيفة الغولية .
alcoholature	غولنة ، صبغة الغول
alcoholature	مادة حاصلة من نقع نبات أو غيره في الغول
alcoholémie	غولمة
alcoholémie	عبارة عن وجود الغول في الدم
alcoholifier	غولل ، غوّل
alcoholise, alcoholize	أي صيّر مادة قابلة لاختمار غولا

alcoolique	alcoholic	غَوِّلِي ، غَوِّل ، مِغْوِيل
العربية تميز الصفة للشيء فتقول غولي والصفة للمرء المدمن فتقول غَوِّل ومِغْوِيل على وزن خِمِير وسِكِير ومسكير (واللفظ الأخير يستوي فيه المذكر والمؤنث) .		
alcooliser	alcoholise, alcoholize	غَوَّل
أضاف الغول الى شراب ، عالج بالغول (ويمكن أن نخصص لفظ غاول للمعنى الثاني)		
alcoolisme	alcoholism	ادمان الغوال ، غَوَال
(على وزن فعال للدلالة على مرض)		
alcoolyse	alcoholysis	حفلة ، اغويلا
اللفظ الأول منحوت من التحليل والغول ، والثاني على وزن احدى صيغ الاشتقاق التي تفيد التحول البطيء		
alcoomanie	alcoholomania	استغوال
وهو انسمام خفي بالغول يجعل المريض في حاجة ملحة الى الشراب وهو دون المرض		
alcoomètre	alcoholometer	مقياس الغول ، مِغْوَال
alcoométrie	alcoholometry	قياس الغول ، مغوالية
alcootest	alcoholtest	غولز ، رائز الغول
alcotest		

وهو طريقة سريعة لكشف الغول في الدم .

وانما أردنا بهذه المصطلحات المحصورة أن نضرب بعض الأمثلة في سهولة الاشتقاق والنحت والتركيب بعد اعتماد الأصل . وقد تهيجت العربية بهذه الطرق أفاضاً قد يحتاج اليها الكاتب والباحث في المستقبل كالدلالة على صناعة الغول : غوالة ، وعلى صانع الغول : غوَال وهلم جرا على هذا القياس وهكذا نجدها أمرن وألس وأطوع من اللغات الأجنبية .

وقد عمدنا في المقال آنفاً الى التركيز على ارساخ أصل المادة وهو الغول كما سلف . ثم تأتي بعد ذلك صيغ الاشتقاق والنحت والتركيب توضع بين أيدي أساتذة الكيمياء الأفاضل الذين لهم اطلاع كاف على أصول اللغة العربية ومزاياها .

ولا بد بعد ذلك من سلطة علمية كاتحاد مجامع اللغة العربية تدعمها سلطة سياسية في اصطفاء المصطلح الأصح وإقراره منعاً للفوضى وتحامياً للتعدد وتقليلاً من الترادف بل وصولاً الى التوحيد ودفعاً لتخرص المدعين .

ع . ك . ي .